

# أثر فكر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر

دكتور/ نور الدين\*

## مقدمة

إن الاستشراق ظاهرة فكرية لعبت دورا خطيرا في انكسر والأدب العربيين قديما وحديثا، فقديمًا أخذ الاستشراق العلوم والآداب والفنون عن العرب، ونقلها إلى الغرب حيث أقام لهضته العارمة على دعائمها، وبلغ ما بلغه الآن من التقدم والازدهار، وحديثا أخذ الاستشراق الأفكار والنظريات، والآراء الغربية المؤسسة على ثقافة العرب فردها إليهم مؤثرا بذلك في هضتهم المعاصرة أبلغ التأثير.

والأمر الأخير الذي هو "أثر الأفكار من الاستشراق في الأدب العربي المعاصر" هو الموضوع الذي اخترته في هذه المقالة العلمية. وهذه المقالة تتناول النواحي الآتية: مقدمة، والبحث، والخلاصة. والبحث يضمن مفهوم الأدب والاستشراق، ودوافعه، ووسائله، وميادين تأثيره، وطبيعة تأثيره.

## ب. البحث

### ١. مفهوم الأدب

كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة. وقد اختلفت عليها معانٍ متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتباهر إلى أذهاننا اليوم، وهو كلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعرا أو نثرا.

ففي العصر الجاهلي، استعملت كلمة أدب بمعنى الدعوة إلى الطعام، وهي خصلة حميدة وخلق فاضل، ولذلك نجد طرفة بن العبد يفتخر فيقول :

\* قسم اللغة العربية وآدابها - كلية اللغات والفنون - جامعة جاكارتا الحكومية - أندونيسيا.

نحن في المشتاة مدعو الخفلى  
لا ترى الأءب فنا ففقر  
وءلء كءمة أءب فف العفر الإءلامف على الفهءفب والفرففة؁ كما روء فف ءءب  
الرسول صلى الله علفه وسلم؁ أنه قال : أءبف رف فآءسن فأءفبف؁ وربف فف بف سعة.  
وهناك فقارب بف المعنى الءف اسءءءم فف فف الءاهلفة والإءلام؁ فالفهءفب الففسف  
واللسانف اللءفن برزا فف مءلوفها فف العفر الإءلامف مظهر من مظاهر الءلق الءمن الءف فقفح عنه  
الءعوة إلى الطعام كما اسءءمء فف العفر الءاهلفف.

وءفما نصل إلى العفر الأموف؁ نجد أن الكءمة صمء إلى معنى الفهءفب الءلفف  
واللسانف معنى آءر هو إءلاقها على المعلمفن الءفن يؤءبون أولاء الءلفاء أو فرهم؁ فسمى هؤلاء  
بالمؤءفن؁ وفف هذا المعنى قال نابفة بف ففان:

إن الغلام مطفح من يؤءبه ولا فطفءك ءو شفب فأءفب

ولما ءاء العفر العباسف؁ اسءء كءمة أءب فأءلقء على الأشعار والأءبار وعلى  
الأءاءفب والفوصافا والءطء؁ لما لها من أءر فف فهءفب الأخلاق فقوفم اللسان؁ فالمطالع لها فأءب  
بها. أف فأء نفسه بما ففها من آءاب. وعلى هذا اسءقر مءلول الكءمة وألءء كءب فف الأءب  
فءم هذه الأنواع مثل : البفان والفففن للءاءظ؁ والكامل فف اللغة والأءب للمبرء؁ والأمالف لأف  
على القالف فرها(عبء العزفر بن مءءم ففصل؁ ١٤٠٥ هـ).

ومن ءلال العرف اسابق سءطفع أن بقول إن الأءب له معنفا : بمعنى عام؁ ومعنى  
ءاص. والمعنى العام للأءب؁ هو بعنى الإناء الففكرف العام للأمة؁ فأءب أمة معفنة بعنى كل ما  
أنءءه أبناء هذه الأمة فف شق ضرور العلم والمعرفة. أما الأءب بمعناه الءاص فففو الفكرة الءمفلة  
و العبارة الءمفلة. فالأءب بهذا المعنى لون من ألوان الفعبفر الففن الءلاق عن الأفكار والمعانف  
والمشكلاء. أو هو مءموع الآثار الفرففة والشعرفة المءمزة بمءمال الشكل والصفاغة والمعبرة عن  
أفكار ءاف ففمة باقفة(على آءمء مءكور : ١٩٨٤)

٢ مفهوم الاسءءراق

إن كءمة الاسءءراق مشءقة من شرق؁ فقال "شرقء الشمس شرقاف وشرقاف إذا طلءء  
"الوفس مألوف؁ ٣٨٤). وفف مفهوم العلمف أن الاسءءراق هو طلب علوم الشرق ولعاقم؁  
والمسءءرق هو عالم فممكن من المعارف الءاصة بالشرق ولعاقه وآءابه.

وأما مفهوم الاستشراق في آراء علماء العرب فكما يلي :

يرى أحمد حسن الزيات أن الاستشراق هو دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأهمه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته (أحمد حسن الزيات، ١٩٨٤) ويصف محمد عبد الغني حسن للاستشراق أنه اشتغال غير المستشرقين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته ودياناته وروحانياته وأثر ذلك في تطور البناء الحضارى للعالم كله (محمد عبد الغني حسن، ٨٩). وأما المستشرق عند أحمد الإسكندري وأحمد أمين فهو كل من تجرد من أهل الغرب للدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقضى آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمة شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانها أو علومها وآدابها، أو غي ركل ذلك من مقومات الأمم (أحمد الإسكندري وأحمد أمين، ١٩٣٤) والمستشرق عند علي حسن الخربوطلي - كما نقله أحمد سمائلوفتش - هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية، فلا بد أن يتوافر في هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها في العالم المتخصص المتعمق حتى ينتج ويفيد البشرية والحضارة بإنتاجه العلمي، ولا بد أن ينتمى هذا العالم إلى الغربي وقد تكون الدراسات الشرقية التي يقوم بها المستشرق تاريخا أو فلسفة أو آثارا أو اقتصادا ولكم تربط بالشرق (أحمد سمائلوفتش، ١٩٧٤).

اعتمادا على التعريفات السابقة أن الاستشراق هو علم يحاول أصحابه دراسة الشرق وكل ما يتعلق به من لغات وآداب ومعتقدات وعلوم وفنون وما شاكلها. وأما المستشرق فعالم غربي يهتم بالدراسة الشرقية على الإطلاق، ويجب أن يكون عالما متخصصا غربيا أصلا أو انتماء وأن تتعلق دراسته التي يقوم بها بالشرق سواء كانت فلسفة أو اقتصادا أو حضارة أو آدابا أو آثارا.

### ٣. دوافع الاستشراق

إن اهتمام الغرب وعنايته للشرق لها الدوافع، منها:

أ) الدوافع النفسية

إن الإنسان هو كائن حي ومخلوق مفكر. وطبيعة الإنسان الرغبة في المعرفة والإطلاع للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم وأخبارهم وأسرارهم وخباياهم، وولعه الكامن في نفسه للسيطرة على الآخرين، وجعلهم يتعلقون به ورغبته الشديدة في أن تعتق غيره ما يعتنقه هو من عقائد وأفكار وسياسة وفلسفة، وميله إلى التفوق على غيره بطريقة أو بأخرى. ويتطلع الإنسان

لإشباع هذه الرغبات بالاستمرار في السفر والرحلات عبر الأراضى والبحار. ولذلك كله كان للرحلات التي يقوم بها الأوروبيون في بلاد الشرق أثر بالغ في تاريخ الاستشراق، ودور لا يستهان به في إيقاظ الرغبة في مشاهدة تلك البلاد، ودراسة كل ما يتعلق بتاريخها وحضارتها .

### ب) الدوافع الاقتصادية

إن الدوافع الاقتصادية تدفع الإنسان للتماس سبل العيش عبر الأراضى والبحار في جميع بقاع العالم وفي سبيل وصول الإنسان إلى هذا الهدف يشهر سلاحه ويستعين بقوته وبطشه ما وجد لذلك سبيلا، يأخذ ويحتل، ويسهب وينهب ويسيطر ويستعبد ويقامر بحياة الآخرين. لذلك كانت النواحي الاقتصادية من أشد الدوافع في اندفاع الغرب لتعلم لغات الشرق ودراسته. ومن ثم كان العالم الإسلامى مجالاً اقتصادياً ذا أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوروبيين وتبع ذلك بالضرورة عناية الغربيين بدراسة علومه وثقافته وفلسفته. ومن الجلي أن لهذه الدوافع دوراً مهماً في انتشار الاستشراق ومعاهده ومراكزه في أنحاء العالم .

### ج) الدوافع الأيديولوجية

إن الدوافع الأيديولوجية خطيرة ونافعة إذ تدفع الإنسان إلى الصراع الفكرى المتواصل الذى لا يهدأ ولا يستكين لا انقطاع فيه، وتلك سنة الحياة التى تدفع الإنسان للصراع حتى مع أخيه وصديقه وعدوه وعشيرته ومجتمعه. وتتمكن هذه الدوافع في وجود الأيديولوجيات المختلفة، أيديولوجية الأفراد والجماعات والدول والحكومات والأجناس والقوميات. وكل منها تسعى لتفرض نفسها على غيرها وتسيطر عليه ويهدف صاحبها إلى أن يكون رئيساً والآخر مرؤوساً، وينصب نفسه سيداً وغيره مسوداً، ويعيش غنياً ويترك الفقير يموت جوعاً.

وقد كانت هذه الأسباب الأيديولوجية دفعا قويا في زحف الغرب على الشرق وتعلم لغاته وبحت آثاره ومحاربة أفكاره وأيديولوجيته، ولقد تبلور هذا كله في غزو الغرب الفكرى الذى كان يرمى إلى إضعاف الشرق عامة والعالم الأيديولوجية دفعا قويا في زحف الغرب على الشرق وتعلم لغاته وبحت آثاره ومحاربة أفكاره وأيديولوجيته، ولقد تبلور هذا كله في غزو الغرب الفكرى الذى كان يرمى إلى إضعاف الشرق عامة والعالم الإسلامى خاصة ليقنطه من جذوره ويزيله من وجوده. وما من شك في أن الدوافع الأيديولوجية كانت إحدى بواعث الاستشراق القوية وانتشار آفاقه في أنحاء البلاد الأوروبية وبين مواطنيها .

#### د) الدوافع الاستعمارية

وهي بلا شك تمثل النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب ومحاولة الثاني السيطرة على الأول وسحق قوته واحتلال أرضه واستغلال مقدراته. وهذه الدوافع ازدادت عمقا وشمولا من اندفاع العرب وسيطرة الإسلام على الإمبراطوريات السابقة ووصوله إلى أوروبا واستقراره في بعض أراضيها. عندما رأى الغرب كل ما شرع يعد قوته لخوض معركة فاصلة معه والسيطرة عليه، فأخذ يتعلم لغته وآدابه وحضارته وتاريخه لكي يتفوق عليه ثم قام بمغامرات صليبية معروفة فحارب الإسلام قروناً ولم ينتصر.

ويعترف الاستعمار نفسه أن أشد ما يخشاه هو الإسلام وانتشاره لأن له قوته وجلاله وأنه الوحيد بين الأديان والمذاهب. وكان لابد للغرب المستعمر من معرفة ما يمكن معرفته من أحوال هذا الشرق ومدخل السيطرة عليه والامتداد به.

#### هـ) الدوافع العلمية

إن هذه الدوافع لها شأن عظيم في حركة الاستشراق لأن العالم الإسلامي يعد كروا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، ففيه شيدت حضارات، ونشأت لغات وفلسفات، وولدت علوم وفنون، ونزلت شرائع وأديان. وقد أثار هذه القيم علماء الغرب فاهتموا بدراستها واكتشاف أسرارها. وتحقياً لهذه الغايات السامية أيقن الغرب أنه لابد له أولاً إذا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق وآدابها وحضارتها وخصوصاً حضارة الإسلام. فأقبل المستشرقون على هذه الدراسات بنهم وضغف وانطلق كثير منهم إلى آفاق بناء استفاد منها الشرق والغرب على حد سواء، ومن الجلي أن الباحث على دراسة اللغات الشرقية في أول الأمر كان دينيا وحريريا. ثم تحول إلى أغراض علمية هدفها كشف ما تكنه العلوم والفنون الشرقية من كنوز ثمينة، وبتقدم هذه الدراسات اتصل حبل المودة بين الشرق والغرب وتوثقت العلاقات العلمية بين الدول الشرقية والغربية.

#### ٤. وسائل تأثير الاستشراق

إن أثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر له عوامل رئيسية وهي :

أ) إرسال البعثات العربية إلى أوروبا

لما تولى محمد علي عرش مصر ظل يرقب الصراع الذي كان يدور فيها بين الأتراك والإنجليز والممالك، وأيقن أن مستقبل البلد يتعلق بقوة الشعب لا بهذه القوى الثلاث، فقد رأى

محمد علي أن مصر تحتاج إلى أساتذة مختصين عالمين بعلوم الغرب وثقافته فأرسل الشباب إلى الغرب ليتقنوا علومهم ولغاتهم وفنونهم واستطاع أن يكون جيشاً من العلماء الذين أسهموا بمجدية وإخلاص في بناء مصر الحديثة. وكانت البعثة العلمية الأولى مؤلفة من أربعة وأربعين شاباً ذهبوا ليتخصصوا في شتى العلوم والفنون من حقوق، وعلوم سياسية، وهندسة حربية، وطب، وزراعة، وغيرها مما استلزمته النهضة الحديثة. وكان إمام البعثة الشيخ رفاعة الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧١) (شوقي ضيف، ١٩٦١).

وقد كان هذه البعثات كلها أثر بالغ في تقدم مصر ونهضتها، وإرسال نور العلم دافقاً قويا في ربوعها، كما كان لها أعظم الفضل في إحياء اللغة، وجعلها مسابرة للعلم الحديث، بما ترجمت أعضاؤها من كتب وما أدخلوه من مصطلحات، وما ألفوه في شتى نواحي العلم.

### ب) حضور العرب في مؤتمر الاستشراق

لقد بدأت دوائر الاستشراق تعدد مؤتمراتها الدولية منذ مائة عام. وقد عقد آخرها في يوليو عام ١٩٧٣ م. بمناسبة احتفالها بالعيد المئوي، حيث "حضره أربعة آلاف عضو، وكان من توصياته إنشاء اتحادات جديدة فرعية. واتحاد للغات القديمة يكون مقره القاهرة واتحاد للدراسات الإسلامية وآخر للدراسات الهندسية." وخلال هذا القرن من الومان حضر هذه المؤتمرات عدد كبير من علماء العرب الذين قدموا ببحوثهم أمام أعضائها، وشاركوا في أعمالها، وناقشوا مسانلها التي أثارها أصحابها حول الإسلام والقرآن، والرسول صلى الله عليه وسلم، واللغة العربية، وتاريخ العرب وآدابهم ثم عاجوا بانطباعاتهم إلى بلادهم.

وما لاشك فيه أن الذين يحضرون مثل هذه المؤتمرات لا بد أن يتأثروا بما وما يدور فيها من مساجلات وأفكار ودراسات وخاصة أولئك الذين يحضرونها أكثر من مرة مثل كرد علي وأمين الخولي، وإبراهيم مدكور وغيرهم.

### ج) الاستعانة بعلماء الاستشراق في التدريس بالجامعات العربية

بعد أن عرلت بعض الأقطار العربية فضل الاستشراق حاولت أن تستحضر عدداً من علمائه للتدريس في جامعاتها. وأول دولة عربية قامت بذلك هي مصر، فهي سباقة في كل شيء، وكان من أولئك الذين استدعتهم المستشرق الإيطالي جويدي. وقد انتدبته أستاذاً بها سنة ١٩٠٨، ومنهم نالينو الإيطالي الذي كان يدعى سنة ١٩٠٩ لإلقاء بعض المحاضرات، ولييت الفرنسي،

وقد انتهت سنة ١٩١٢ وكانوا جميعا يلقون محاضراتهم باللغة العربية .  
والدليل على تأثير هؤلاء المستشرقين في الأدب العربي المعاصر أن رواده من الأدباء  
والفلاسفة والنقاد في العالم العربي الحديث قد كانوا من بين أولئك الذين تعلموا على أيدي  
المستشرقين وتحت إشرافهم .

#### د) ترجمة أعمال الاستشراق إلى العربية

قد ذكر سابقا أن محمد علي قد قام بإرسال البعثات إلى أوروبا رغبة منه في إيجاد طبقة من  
المقتردين على تعليم المصريين، وكان لابد للتعليم من نقل تلك العلوم التي تعلمها رجال البعثات في  
أوروبا ليستطيع أهل البلاد دراستها بلغتهم . ولذلك فقد اهتم محمد علي بالترجمة اهتماما كبيرا .  
ويروى عنه أنه لما عاد أول بعث إلى مصر سلم كل واحد منهم كتابا بالفرنسية في المادة  
التي درسها بأوروبا وطالبه بترجمته إلى اللغة التركية، وكانت لاتزال حينذاك اللغة الرسمية للبلاد .  
وقد فضت الترجمة في مصر عندما أسس محمد علي مدرسة الألسن في سنة ١٨٣٦ م . وعهد  
بالإشراف عليها لرفاعة الطهطاوي . وكان يدرس في هذه المدرسة آداب العربية واللغات الأجنبية  
وعلوم التاريخ والشريعة الإسلامية والشرائع الأجنبية . وكان نهج المدرسة في الترجمة علميا ومفيدا  
(أحمد سمائلوفتش، ١٩٧٤).

#### ٥. ميادين تأثير الاستشراق

إن الاستشراق يعنى عناية هامة بالتراث العربي الإسلامي ومدى عنايته هذه في فحة  
الأدب العربي في العصر الحديث . ومما لا شك فيه ان للاستشراق أثرا كبيرا في إحياء اللغة العربية  
وآدابها ويرجع أثر الاستشراق في هذا الميدان جملة إلى العناصر الرئيسية الثلاثة، وهي:

#### أ) تحقيق المخطوطات

إن التراث العربي الإسلامي يمكننا أن نقول إنه نوعان : مطبوع ومخطوط أو منشور ومستور .  
من بين التراث آلاف مؤلفة منه مطبوعة، وآلاف مؤلفة منه مخطوطة . ومن هنا كنا على حق عندما  
أكدنا آنفا أن الحضارة العربية الإسلامية بدأت تأخذ مكانها العالمي من جديد منذ بداية القرن العشرين  
لما بدأت تعلن عن إثرها الثقافي الأصيل، المنشور والمستور معا، ومما لا شك فيه ان إثرها المنشور يؤكد  
إثرها المستور . إذن، فما أمر الاستشراق في ذلك وكيف كان أثره في أدبنا المعاصر بالذات؟

إن الاستشراق قد لعب دورا مهما مؤثرا لا يمكن إغفاله أو إنكاره، إذ وضع علماءه

القواعد الأساسية للسير عليها في نشر المخطوطات وتحقيقها معتمدين على المبادئ التي توصل إليها علماء الآداب الكلاسيكية في أواسط القرن التاسع عشر. وقد استخدم المستشرقون هذه المبادئ في إحياء الكتب العربية وإن لم يؤلف فيها تأليفا خاصا، إلى أن جاء المستشرق برجستراسر فألف في هذا الفن من خلال محاضراته التي ألقاها على طلبة التخصص بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٢ (أحمد سمايلوفتش، ١٩٧٤).

وقد تحدث بعده بستين محمد مندور عن هذا الموضوع، فناقش أصوله في التحقيق من خلال نقده لكتاب "قوانين الدواوين للأسد بن ماتى الوزير الأيوبي المتوفى ٦٠٦ هـ والذي قام بتحقيقه عزيز سوريال عطية ونشرته الجمعية الزراعية، حيث درس الاتجاه العام لأصول التحقيق باحثا في أثناء ذلك مشكلة المصادر المباشرة وغير المباشرة، ثم قراءة النص وغيرها من العضلات العلمية التي تتعلق بهذه الأصول.

وأصدر بعده بلاشير وسوفاجيه كتابهما بالفرنسية في هذا الموضوع بعنوان "قواعد نشر النصوص العربية وترجمتها". ونشر بعدهم عبد السلام هارون مؤلفه في الموضوع نفسه بعنوان "تحقيق النصوص ونشرها" الذي قال عنه إنه أول كتاب عربي في مثل هذا الفن يشرح مناهجه ويعالج معضلاته. وبعده أصدرت عائشة عبد الرحمن "مقدمة في المنهج" تناولت فيه بعض قضايا نشر النصوص وتحقيق المخطوطات.

#### ب) دراسة الأدب

إن أبرز النواحي لأثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر تتجلى في :

#### ١) التاريخ للعصور الأدبية

لقد حاول علماء الاستشراق أن يحيطوا بالأدب العربي إحاطة كاملة فبحثوا في كل ما يتعلق به معتبرين تاريخه أساسا لذلك. ومن هنا واجهوا معضلة تاريخه ونشأته وتكوينه ومولته وتطوراته. وأرادوا أن يحلواها، ولكي يقوموا بذلك كان عليهم أن يبدأوا دراستهم للأدب العربي على أساس جديد. وهكذا ذهبوا فقسّموا هذا الأدب إلى عصور.

ومن هنا يقسم بروكلمان تاريخ الأدب العربي إلى خمسة عصور رئيسية وهي:

١. عصر ما قبل الإسلام، ويبدأ من نقطة لا يمكن تحديدها الآن حتى ظهور الإسلام.

٢. عصر ظهور الإسلام حتى نهاية الأمويين عام ٧٥٠ م.

٣. عصر الدولة العباسية حتى نهايتها على أيدي المغول عام ١٢٥٨ م
  ٤. عصر ما بعد سقوط بغداد حتى مجيء بونابرت إلى مصر عام ١٧٩٨ م .
  ٥. عصر البعث الجديد في القرن الماضي حتى العصر الحاضر.
- ويختلف نيكلسون عنه فيقسم تاريخ الأدب العربي إلى ستة عصور رئيسية وهي:
١. عصر ما قبل الإسلام من نقطة زمنية يصعب تحديدها حتى ظهور الإسلام.
  ٢. عصر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم.
  ٣. عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية.
  ٤. عصر الدولة العباسية وخلفائها.
  ٥. عصر العرب في أوروبا ودورهم فيها.
  ٦. عصر ما بعد الفتح المغولي حتى عصرنا الحاضر.
- ويذهب ناليتو فيقسم تاريخ الأدب العربي إلى ستة عصور وهي:
١. العصر الجاهلي مبتدئا بزمن يستحيل تحديده حتى ظهور الإسلام.
  ٢. العصر الأدب الإسلامي- مبتدئا بظهور الإسلام ومنتها بسقوط الدولة الأموية عام ٧٥٠.
  ٣. العصر العباسي الأول يستمر من سقوط الأمويين حتى عام ١٠٥٨ م.
  ٤. العصر العباسي الثاني ويبدأ من عام ١٠٥٨م ويستمر حتى سقوط بغداد على أيدي المغول عام ١٢٥٨ م .
  ٥. عصر الانحطاط ويبدأ من عام ١٢٥٨ م حتى عام ١٨٠٥ م .
  ٦. عصر البعث الجديد ويبدأ من جلوس محمد علي بك على عرش مصر عام ١٨٠٥م ويستمر حتى الآن.
- ولو أخذنا أيأ من الدارسين العرب المحدثين للأدب العربي وتاريخه لبدأ لنا أثر الاستشراق في هذا المجال واضحا وجليا .وإذا كان أثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر عظيما بحله مشكلة التحقيب في تاريخه، فقد ترتب على ذلك أثره البالغ أيضا بحله مشكلة التويب، إذ قام علماء المستشرقون بتنظيم العلوم العربية وتنسيق مادقا على أساس علمي منهجي سليم.

## ٢) تأليف دائرة المعارف الإسلامية

إن ظهور دائرة المعارف الإسلامية قد كان بفضل جهد بذله علماء الاستشراق في العالم بأسره، وهي أكبر عمل قاموا به على الإطلاق. وقد استهدفوا بإخراجها أن يجمعوا معلوماتهم وأبحاثهم وأفكارهم في مؤلف واحد شامل يحيط بكل ما يتعلق بالإسلام والعرب والقرآن، ولم يأت مؤلفهم هذا اعتباطاً وإنما أعدوا له قرابة عشرين سنة أو يزيد، إذ بدأت فكرته تراودهم منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث أخذوا يجمعون المواد، ويوزعون جمعها على العلماء ويرتبونها حسب الهجاء.

وموضوعها تعالج جميع الموضوعات التي تتعلق بالإسلام والعرب من المعارف عن البلاد العربية الإسلامية وشعوبها، وأديانها ولغاتها، وأعلامها وأحداثها التاريخية وأحوالها الاجتماعية وأمورها الاقتصادية ومسائلها الفكرية والثقافية والأدبية وغيرها.

أما أثرها في الأدب فبيدوا في كل ما ألفه العلماء العرب المحدثون بعد إصدارها، إذ كلما نجد عالماً من علمائهم في العرييات والإسلاميات إلا ورجع إليها واعتمد عليها. والدليل على أثرها في الأدب العربي المعاصر البحوث الشهيرة التي قام بها أحمد أمين وإسماعيل مظهر وعبد الوهاب عزام وغيرهم الذين أشادوا بأهميتها واعترفوا بأثرها، ورحبوا بترجمتها وأسهموا بإضافتها إلى تلك التراث العربي الإسلامي الخالد.

## ٣) البحث في تأثير الأدب العربي

إن الأدب العربي أطل على منافذ الثقافات العالمية وأشرف على متابعتها يستلهمها ويلهمها أجل الآيات والروائع، يؤثر فيها في القديم والحديث ويتأثر بها، وذلك في عصور نهضته وازدهاره. ومن الجلي أن التأثير بين أدب وآخر قد يكون في الجنس الأدبي أو في المواقف الأدبية، أو في الأفكار والموضوعات. وما من شك في أن هذا التأثير قد ازداد بولع المسلمين بالعلوم والآداب والفنون وشغفهم بها، حتى كان من جملة إفضال تميزهم عليها جميعاً أنهم جمعوا أثنى ما فيها من لغات الشعوب التي دانت لهم، وأضافوا إليها وتقدموا بها إلى الأمام.

ويعلم أن انتقال الثقافات القديمة إلى العرب كان في أغلب الأحيان على أيدي اليونان لأنهم عندما جاءوا كانت العلوم قد اجتمع معظمها بتفاعل العناصر المختلفة لدى هؤلاء الذين غربلوا ونظموها وروقوها. وأن العرب قد تأثروا بالعلماء اليونانيين الذين ألفوا في العلوم كالطب

والفلك والرياضيات والفلسفة أكثر من تأثرهم بالأدباء اليونانيين وشعرائهم .

## ٦. طبيعة تأثير الاستشراق

إن أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث يرجع إلى جانبين مهمين : جانب منهجي وجانب موضوعي . أما أثره من الناحية المنهجية فقد استطاع الاستشراق أن يوجه علماء العرب المحدثين إلى تحقيق مخطوطاتهم، وإحياء تراثهم، وتاريخ آدابهم ويحملهم على الاهتمام بعماجهم، وتنظيم مباحثهم، والإحاطة بأعلامهم والبحث في علومهم والنفاد إلى تأثرهم وتأثيرهم، وتفهم مكانتهم في الفكر العالمي.

وهكذا درس العرب المحدثون آدابهم على فنج بروكلمان، وناليو، ونيكولسن، وكراشكوفسكى، وغيرهم، حتى لا تكاد تخلو جامعة عربية، بل جامعة إسلامية ولا باحث عربي في الفكر العربي وثقافته، بل باحث إسلامي في الفكر الإسلامي وحضارته من أثر هؤلاء وطريقتهم ومنهجهم .

أما أثره من الناحية الموضوعية قد أثار المستشرقون في العالم العربي مسائل كثيرة أثار اهتمام عدد من علماء العرب المحدثين فكانت موضوع مؤلفاتهم وبحوثهم ودراساتهم ولن نذهب أبعد من القرن التاسع عشر، حيث "كان لقاء الطهطاوى مع المدرسة الاستشراقية الفرنسية واتصاله الدائم بعميد المستشرقين الأوربيين البارون سلفستردى ساس (١٧٥٨-١٨٣٨) وتلاميذه أول لقاء للعقل العربي مع دراسات المستشرقين الفرنسيين ولقد أثار الجانبى الدينى والعلمى عند هؤلاء المستشرقين اهتمام الطهطاوى" ( أحمد سميلوفتش، ١٩٧٤).

وكل من يقرأ كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" يلاحظ هذا كله بوضوح إذ عدد الطهطاوى فيه بعض الكتب العربية مثل "تقويم البلدان" و"نزهة المشتاق" وغيرهما، التى طبعت في أوربا قبل ذهابه إليها أو خلال وجوده فيها . ويتضح أن الطهطاوى عرف كثيرا من الكتب العربية أثناء إقامته في باريس، وهى الكتب التى اهتم بها المستشرقون الأوربيون فنشروا جزءا منها أو نشروها أو ترجموها، وبحثوا مضمونها وبهذا عادت رحلة الطهطاوى في باريس بعدة ثمار علمية منها معرفته بجهود المستشرقين في نشر التراث العربى . وعرف الطهطاوى دراسات المستشرقين في اللغة العربية وآدابها وخصص عدة صفحات من كتابه لجهود دى ساسي في التراث العربى.

إن الدراسات الأدبية وتاريخ الأدب العربي يصورته اليوم هي أثر من آثار المستشرقين، فالكتب العربية مثل "تاريخ آداب اللغة العربية" و "تاريخ التمدن الإسلامي" لجورجي زيدان قد اتضح فيها أثر الاستشراق، فجورجي زيدان بمعرفته للغات وإطلاعه على المناهج الحديثة كان أشبه شئ بمهزة وصل بين الحركات العلمية العربية الناهضة وحركة الاستشراق المتدفقة النشاط في أوروبا وأمريكا. واتصلت العلاقة بينه وبين أعلام المستشرقين مثل تيودور نولد كله، ويوليوس فلهاوزن، ومارجوليث، واليام رايت وغيرهم. وكان معظم هؤلاء يقدون على القاهرة للدراسة أو البحث عن المخطوطات أو لنشر بعض ما أعدوا من مخطوطات عربية، فاتصلوا بجورجي زيدان وأخذوا عنه وأخذ عنهم، ووجدوه يبحث على أسلوبهم مع تفوقه عليهم في العلم بالعربية.

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المستشرقين قد تأثروا بجورجي زيدان، كما تأثر هو بهم، وعلاوة من الاستدلال على تأثر جورجي زيدان بالاستشراق أن نلتفت الأنظار إلى اعترافه شخصيا بذلك عندما أعلن في بداية مؤلفه "تاريخ آداب اللغة العربية" عن أسماء الكتب الألمانية، و الإنجليزية، والفرنسية التي أخذ منها. فإن المنهج الجديد في "تاريخ آداب اللغة العربية" الذي ارتاده زيدان لأول مرة مقنيا أثر جماعة من علماء الاستشراق، قد سار عليه بعده في القرن العشرين جماعة من أساتذة الأدب العربي والمؤلفين والباحثين.

#### المراجع والمصادر

- ١- أحمد الإسكندري وأحمد أمين، الفصل في تاريخ الأدب العربي: القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤
- ٢- أحمد حسن الزيات، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة: دار فضاء مصر ١٩٨٤
- ٣- أحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٦٠
- ٤- أحمد سمبلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، رسالة الدكتوراه، ١٩٧٤
- ٥- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، القاهرة: دار المعارف، دت
- ٦- جودت الركابي، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢
- ٧- عبد العزيز بن محمد الفيصل، الأدب العربي وتاريخه، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥ هـ
- ٨- علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٤
- ٩- لويس مألوف، المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، المكتبة الشرقية، ١٩٨٦